الطبُّ الرّوحانِي

لأبي بكر الرازي

الأقوال الذهبية للكرماني

ومعهـــما

المناظرات لأبي حاتم الرازي

تقديم وتحقيق

الدكتور عبد اللطيف العبد

١٩٧٨

مكتبة الطبع والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا، وأشكره على توفيقه وآلائه. وأصلي وأسلم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد : فإنني أتشرف بتقديم بعض الفكر الفلسفي ، إلى المكتبة فلسفية ، وهذا الفكر عبارة عن كتابين وجزء من كتاب ثالث .

ذلك أن الرازي قد ألف كتابه «الطب الروحاني» في إصلاح الأخلاق، صور فيه بعض أفكاره الفلسفية ، وقد قوبل فكر الرازي بهجوم شنيع، ما العصبية أو التقليد .

فقد أورد أبو حاتم الرازي مناظرة دارت بينه وبين أبي بكر الرازي، ويتهم ها الرازي بأنه ينكر النبوة والأنبياء . وقد وصل الأمر بأبي حاتم ت سمي الرازي بالملحد ، دون دليل .

وقد أراد الكرماني أن ينصف أستاذه أبا حاتم على أبي بكر الرازي ، ف كتابه الأقوال الذهبية ، من أجل سد بعض النقص في رد أستاذه جهة ، ومن جهة أخرى للرد على الطب الروحاني الرازي .

وقد أوضحنا في كتابنا « أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي» ، تحامل أبي حاتم وتلميذه على الرازي ، وبينا مدى تحكم العصبية ملية فيهما .

تم تعريفنا بالشخصيات الثلاثة ، وكتبهم الثلاثة أيضا التي ها . لكننا حرصنا على الإيجاز ، لأن النصوص طويلة ،

ولنفسح المجال أيضا لمقدمتنا الدراسية . التي تعطي صورة موجزة وشاملة عن فلسفة الرازي تلك التي افترى عليها خصومه حسدا و بغيا .

المناظرات بين الرازيين :

هذه المناظرات جزء من كتاب أبي حاتم الرازي ، وهو « أعلام النبوة » . وقد نشر كراوس هذه المناظرات في « رسائل فلسفية » للرازي من ص ٢٩٠ — ٣١٣ . وفي المخطوط من ص ١ — ٢٤ .

ويذكر كراوس أن « أعلام النبوة » من الكتب التي تحويها خزائن الطائفة الإسماعيلية البهروية في الهند ، وأن الذي أطلعه على نسخة منه ، هو صديقه الدكتور حسين الهمداني ، وهذه النسخة تحتوي على ٢٨٠ ص ، وهي في غاية الصحة ، وإن كانت حديثة النسخ ، (سنة ١٣٠٦ هـ) . كما يذكر أن نسخة أخرى لهذا الكتاب جاءته من الهند ، فقابل عليها النسخة الأولى ، كما قابلها على ما ورد من المناظرات في كتاب « الأقوال الذهبية » .

وقد نقلنا ما أورده كراوس من المناظرات ، تتميما للفائدة ، ذلك أن المناظرات تتهم الرازي بإنكار النبوة ، والكرماني يحاول تثبيت هذه على الرازي في « الأقوال الذهبية » ، بل إنه يحاول أن يكمل النقص الذي تركه أستاذه أبو حاتم في الرد على الرازي . ومن جهة أخرى فإن كتاب « الطب الروحاني » للرازي يكذب هذه الادعاءات الإسماعيلية فليس فيه إنكار للنبوة ولا لشيء من الدين ، كما لا يوجد هذا في كتبه الأخرى التي اطلعنا عليها مطبوعة أو مخطوطة .

وقد رددنا على هذه الاتهامات بما فيه الكفاية ، ونحن ندرس الدكتوراه عن فلسفة أبي الرازي (١) . ذاهبين إلى أن إطلاق تلك الاتهامات كان دون دليل

(١) راجع كتابنا : « أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي — موضوع الألوهية وموضوع النبوة — نشر مكتبة الأنجلو المصرية ط ١ — ١٩٧٧ .

دليل ، وأنه تسرع لامبرر له . وقد أشاد أستاذنا الدكتور محمد كمال جعفر بموقفنا هذا (١) .

التعريف بأبي حاتم الرازي

اسمه الحقيقي ، هو : أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسناني المتوفى ٣٢٢ هـ .

وكان أحد كبار الدعاة الإسماعيليين للمذهب الفاطمي: وقد أدى دوراً سياسياً كبيراً في طبرستان وأذربيجان وأصفهان والري ، مما أدى إلى استمالة بعض القيادة من أمثال : أسفار بن شرويه (٢) ، ومرداويج القائد الذي ذكر أبو حاتم أن المنـــاظرة بينه وبين الرازي قد دارت في حضرة هذا القائد .

امرؤ قوال الرقمية في الطب النفساني :

وقد ألف الكرماني هذا الكتاب في الرد على « الطب الروحاني » لأبي بكر الرازي وبيان أغلاطه فيما ادعاه من الطب الروحاني . كما ألفه أيضاً ، ليسد بعض الثغرات التي تركها أستاذه أبو حاتم الرازي في مناظرته مع أبي بكر الرازي .

وقد رتبه على بابين : الأول في الرد على الرازي ، والثاني في بيان حقيقة الطب الروحاني . ورتب كلا منهما على ستة أقوال .

أما النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا التحقيق ، فهي موجودة بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٣٦ و .

---

(١) د . محمد كمال جعفر : في الفلسفة الإسلامية ص ٢٥٩ مصر ١٩٧٦ .

(٢) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٢٨٣ تحقيق محمد محيي الدين ، طبع صبيح بمصر — دون تاريخ .

وهى بقلم نسخ واضح معتاد ، بخط محمود صدقى ، نقلا عن النسخة الفتوغرافية المصورة عن أصل مخطوط محفوظ بالمكتبة الهمدانية بسورت فى الهند . وفرغ صدقى من نسخها يوم الخميس ٤ من ربيع الثانى سنة ١٣٥٧ ومسطرتها ٢٠ سطرا ، فى ١٤٦ صفحة ١٧×٢٦ سم .

وقد وضحنا فى دراستنا لفلسفة الرازى ، أننا لم نوافق على المنهج الذى سار عليه الكرمانى فى نقده للرازى . وأثبتنا فى مواضع عديدة ، أن الكرمانى كانت تحكمه عوامل متعددة ، أبرزها تعصبه الشديد للمذهب الإسماعيلى ، فى أن الرازى لا يتعصب إلا للحقيقة(١) .

التعريف بالكرمانى :

هو حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى الملقب بحجة العزيز ، وكبير دعاة الإسماعيلية بجزيرة العراق ، أيام الحاكم بأمر الله .
وهو أيضاً صاحب مؤلفات متنوعة ، فى الإشادة بالمذهب الإسماعيلى والرد على مخالفى الفاطميين ومن أشهر هذه المؤلفات : راحة العقل ، والأقوال الذهبية الذى نحن بصدد نشره .

ويبالغ دعاة اليمن وعلماء الإسماعيلية ، فيضعون أمام اسمه كلمة « سيدنا » تكريما له ، كما يعتبرونه أعظم عالم أنتجته المدرسة الفكرية الإسماعيلية فى عهد الدولة الفاطمية . وكان مسئولا عن شئون الدعوة الثقافية فى فارس والعراق ، أما فى القاهرة فقد كان مركزه كمقام « حجة الجزيرة » ، فهو إذن أحد الحجج الاثنى عشر . ثم استخدم بعد لرئاسة دار الحكمة بالقاهرة حيث وفد إلى مصر عام ٤٠٨ هـ وتوفى عام ٤١١ هـ .

---

(١) راجع كتابنا : أصول الفكر الفلسفى عند أبى بكر الرازى — موضوعات الأمور الإلهية والنبوة والأمور الروحية — نشر مكتبة الأنجلو المصرية — ط ١ — ١٩٧٢ م .

ويقول أحد الإسماعيلية اليوم عن أهمية دراسة ونشر فكر الكرماني.

« إن الكرماني من الفلاسفة المغمورين في عالمنا الفلسفي . وفي الواقع فان دراسة مؤلفاته وإنتاجه من الأهمية بمكان ، وهي تعطي صورة » عن أثر الفلاسفة في تاريخ الفكر بالنسبة للمهتمين بالدراسات . . والفلسفة الإسلامية(١) .

الطب الروحاني :

ألف الرازي كتاب « الطب الروحاني » قاصدا به إصلاح الأخلاق . ولم يكن يعلم أن كتابه هذا سيثير بعض المتعصبين من أمثال الكرماني الذي ألف « الأقوال الذهبية » خاصة للرد على الطب الروحاني ومحاولة نقضه.

وقد سبق أن حقق هذا الكتاب « الطب الروحاني » ب كراوس ونشره في رسائل فلسفية الرازي » ، معتمدا على المخطوطات التالية :

ل — نسخة المتحف البريطاني رقم ٢٥٧٥٨ من الإضافات الشرقية (A. d. d.)

ف — نسخة مكتبة الفاتيكان روما رقم ١٨٢ من المخطوطات العربية .

ق — نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤١ من قسم التصوف والأخلاق الدينية .

ك — النبذ التي وردت في كتاب الأقوال الذهبية لحميد الدين الكرماني .

ولما وجدتني مضطرا لنشر الطب الروحاني مع الأقوال الذهبية

---

(١) محمد حسن الأعظمي: مقدمة التحقيق لكتاب النعمان « تأويل الدعائم » ٢ : ٢٥ دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

والمناظرات ، ليكون العمل متكاملا ، فقد وجب على أن أعيد النظر فى تحقيق كتاب الطب الروحانى .

وقد استفدت من تحقيق كراوس الذى جعل النسخة المعتمدة هى نسخة ل ويرجع تاريخها إلى سنة ٧٥٩ هـ .

أما نحن فقد اعتمدنا على نسخة القاهرة . لأنها أقدم من نسخة ل بحوالى ٢٧ سنة فتاريخها هو ١٣٢ هـ . هذا بالإضافة إلى أن الخلاف كثير بينها وبين نسخة ل ، لكننى — كواحد من أبناء اللغة العربية المتمرسين بها — كنت أجد نسخة القاهرة على صواب فى كثير من الأحوال ، ماعدا سقوط بعض صفحات منها ، وقد أكملتها من تحقيق كراوس — الذى أدين له بالفضل والشكر — مع التنبيه على ذلك بالهامش .

أما نسخة القاهرة فقد رمزنا إليها مثل كراوس بـ « ق » ورمزنا إلى تحقيق كراوس بـ « ك » وهى مكتوبة بخط نسخى غليظ وهى فى مجموعة . وعدد صفحاتها ١٢٩ فى كل صفحة نحو ١٤ سطرا من ص ١ — ١٠١ للطب كتاب يحيى بن عدى من ص ١٠٢ — ١٣٩ . وفى هذه النسخة بعض النقص ، من ابتداء الفصل الرابع إلى منتصف الفصل الخامس ، وفيها سقوط فقرة طويلة من الفصل السادس عشر . وقد أكملناها كما قلنا .

التعريف بأبى بكر الرازى :

هو أبو بكر محمد بن زكرياء الرازى . وقد ولد بالرى عام ٢٥٠ هـ = ٨٦٤ م . ثم توفى فى الخامس من شعبان عام ٣١٣ هـ = ٢٥ من أكتوبر عام ٩٢٥ م ، عن اثنين وستين عاما تقريبا . وهى أرجح ما اخترناه :

وقد نشأ الرازى بالرى ، وكانت موطن العلم والأدب والنبوغ . فنهل

من معين هذه البيئة ، وانصرف عن كل ما يشغله من غناء أو تجارة أو صيرفة ؛ فلم يكن يميل إلى التكالب . بل كان ذا مروءة وجدية .

وكان كثير الاطلاع على معارف السابقين ، من كل من : العرب واليونان والهند وغيرهم . ولم يشاهده بعض معارفه ، إلا ناسخا للكتب ، مع أنه عاش حياته زاهدا فى المال ومظاهر الحياة ، بالإضافة إلى أنه كان يجالس الأمراء ويعالجهم .

وقد وصف الرازى بأنه كان ذكيا فطنا مجتهدا عادلا رزينا ، يحب الرحمة والعدل ، والنصح والعفة ، والإقلال من محاكمة الناس ومجادلتهم ، وكذلك كان رحيما حنونا يعطف على الطلاب والمرضى والفقراء .

وكان يخاف من سوء السيرة ، ولهذا لم يسجل عليه أحد خصلة ذميمة أو تصرفا مشينا . فهو فى بلاط الحكام إما طبيب وإما ناصح لهم .

وقد كتب سيرته بنفسه ، خوفا من تحريفها على يد الخصوم ، لاسيما وأنهم عابوه فى حياته بأنه ليس فيلسوفا ، وليس متبعا منهج سقراط .

وقد صحح هو هذه الفكرة بنفسه ، وأثبت أنه فيلسوف نظرا وتطبيقا ، وذلك عن طريق حسن سيرته وعن طريق مؤلفاته العديدة الشاملة ، التى تخدم الإنسان جسدا وروحا .

كذلك كان يمجد الفلسفة والفلاسفة . وقدم للناس خلاصة أفكار الفلاسفة ، وخلاصة أفكاره ، معتزا بمؤلفاته وعلمه . حتى صار فيلسوف الوضوح والخير ، والعقل والتجربة .

وكان مؤمنا بالله تعالى ، وبجميع صفات الكمال التى تليق بذاته المقدسة ، ومؤمنا كذلك برسل الله وأنبيائه وتعاليم دينه ، مبعضا الدهرية وأصحاب المذاهب المتحررة والمتزمتة .

ومن هذا قدره الباحثون المنصفون فى الشرق والغرب ، حيث لمسوا عمق فلسفته وابتكاره فى ميدانى العلم والفلسفة ، بحيث كانت فلسفته تلتحم بالواقع وتعبر عنه وتسمو به (١) .

وما أحوجنا إلى أن نكون نحن الشرقيين فى مقدمة الذين عرفوا قدر الرازى ، وأن نضعه فى منزلته الحقيقية .

وسوف نقدم هنا صورة شاملة وموجزة عن معالم فلسفة الرازى ؛ وهى التى توصلنا إليها من دراستنا لكتبه الموجودة مطبوعة ومخطوطة . فبهذا يتضح مدى عمق فلسفة الرجل وابتكاره واستقامته . وعند هذا سيظهر لنا مدى تجنى الخصوم عليه حيث رأوا — ظلما — أن عقله ليس مهيئا للتفكير الفلسفى . وكذلك حيث تسرعوا فنسبوا إليه أنه ملحد لقوله بالقدماء مع الله ، ولإنكاره قيمة النبوة .

معالم فلسفة الرازى

ما وراء الطبيعة :

أولا : الإله : يعترف الرازى بأن الله سبحانه وتعالى موجود ، وأن له التقديس المطلق ، وصفات الكمال اللائقة بذاته المقدسة .

فهو سبحانه خالق كل شىء من العدم ، وقادر على كل شىء ، ومشيئته فوق مشيئة الإنسان ، وهو سبحانه مسبب الأسباب ، والموفق والمنزه عن

---

(١) راجع هنا :

ابن النديم : الفهرست ٤١٥ — المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨ هـ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ : ٢٤٥ — تحقيق محمد محيى الدين — النهضة المصرية ١٩٤٩ .

ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٥٠

عائلة الإنسان ، والعالم بالسر والأخفى منه ، والعادل ، والمالك ، والذى له الطاعة ، وإليه التضرع ، والذى منه العون ، والذى يجب السعى لرضاه ، وأن خير إنسان من يتصف بصفاته سبحانه (١) .

ثانيا — الخلق: إن الله سبحانه خالق مبدع ، أخرج جميع المحسوسات من غامض علمه ، وكلها منقادة لعظيم قدرته .

وإن أول ماخلق الله تعالى . الأنوار المضيئة ، ثم خلق منها العقل ، ثم النفس الناطقة ، ثم النفس الحيوانية ، ثم النفس الطبيعية النامية ، ثم الطبائع الأربعة البسيطة ، وهى عنصر الأشياء الجسمانية من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ، ثم الطبائع المركبة ، ثم الأجرام السماوية والأرضية . وكلها خرجت بقدرة الله تعالى . من عدم إلى رسم ، مع حكمته وإبداعه سبحانه (٢) .

ثالثا — الهيولى الأولى :جوهر قديم ، ولها أجزاء لاتتجزأ . وهى مادة الأجسام ، لأنها بسيطة . ولا تقبل الطبائع إلا بعد أن تتصور .

وسوف ينتهى تفرق تركيب أجسام العالم ، فى آخر الأمر إلى تلك الهيولى نفسها .

وكانت قبل خلق العالم مركبة من أجزاء ، وإذا تركبت الأجزاء بنسب تكونت العناصر الخمسة : التراب والهواء والماء والنار والعنصر الأثيرى السماوى ، وهو جرم الفلك .

---

(١) انظر هنا للرازى : الحاوى فى الطب ص ١٦ ، الفاخر فى الطب ص ١١٤ . الحاوى : ٦٩ ، المنصورى — ورقة ٣ ، ب ، الساعة ٤ .

(٢) الرازى : المدخل الصغير إلى علم الطب — ورقة ١٠٦ ب ، السيرة الفلسفية ص ١٠٩ ، مقالة فيما بعد الطبيعة ١١٩ ، ١٢٣ .

وعلى هذا ، فإنه لايحدث شيء فى العالم إلا عن شيء . وإن العالم حادث عن الله بالإرادة ، ويعتوره الكون والفساد ، فلا دوام لشيء منه (١) .

رابعا — المذهب الطبيعى : ناقش الرازى مسألة الطبيعة ، مناقشة عقلية ، وتوصل إلى أن الطبيعة ليست هى الخالق للأشياء . فهناك الله الخالق القادر ، الموجب بذاته لقوى سائر الأفعال ولطبائع الأشياء .

وقد أخطأ الطبيعيون ، لقولهم بالطبيعة وأنها جوهر ، ووصفها بما وصف به الله تعالى ، الذى هو الحى المختار العالم الحكيم . وقد تناقضوا لقولهم بأن الطبيعة موات ، ثم قولهم بأنها تفعل الأشياء وتؤثر .

والذين أنكروا منهم أن الله تعالى ركب جسم الإنسان ، قد جحدوا البارىء ، فليست هناك طبيعة مبثوثة فى العالم .

وإن القائلين بها لم يتفقوا على موضعها فوق الفلك أو دونه . وليس فى المنى قوة تصور الجنين ، كما زعم بعض الدهرية ، وكذلك ليس فى الرحم قوة تصوره .

ويؤمن الرازى بالله تعالى ، خالقا وقادرا ، وينكر الطبيعة ، ويحارب الادعاء والتناقض والإلحاد (٢) .

خامساً — المكان والزمان : ذهب أبو بكر الرازى ، إلى أن المكان مطلق ومضاف . فالمكان المطلق مرادف للخلاء المطلق ، وغير متناه ، ولذا كان قديما .

والمكان الجزئى هو المضاف إلى المتمكن ، فإن لم يكن المتمكن لم يوجد متكان .

---

(١) رسائل الرازى الفلسفية ص ٢٢٠ (عن زاد المسافرين — ترجمة كراوس) .
(٢) راجع هنا الرازى : مقالة فيما بعد الطبيعة (كل الصفحات) .

والزمان أيضاً مطلق ومحصور . فالزمان المطلق هو الدهر والأبد السرمد ، وهو قديم . والزمان المحصور هو المقدر بحركات الأفلاك وجرى الشمس والكواكب .

وكل من المكان والزمان المطلقين قديم ومخلوق ، بمعنى أنه قبل الزمان المعهود بالأفلاك وبعده ، ولهذا فلا مشاركة هنا الإله فى القدم . جل وتقدس عن الشريك والمماثل (١) .

سادساً — النبوة :

قد اتهم الرازى بإنكار النبوة والأنبياء ، وأشاع عنه ذلك الإسماعيلية فى المقام الأول . وهذا غير صحيح ، لأن الرازى فيلسوف عقلى يناقش بعقله كل الأمور . ولكنه لم يصرح فى كتبه التى وصلت إلينا ، بشىء من هذا الإنكار ، بل العكس هو الصحيح .

فقد رأينا فى كتابه الطب الروحانى وغيره ، أنه يوجب احترام تعاليم الدين ، ويحث الإنسان على التمسك بها ، لينعم فى الآخرة بالجنة ، ويفوز برضوان الله تعالى .

كما أوجب احترام الأنبياء ، فى أشخاصهم الكريمة وسيرتهم العطرة . وعنف بشدة من قال إن العشق منقبة من مناقب الأنبياء (٢) .

---

(١) الرازى : رسائل فلسفية ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ، والمناظرات .

(٢) الرازى : المناظرات . الطب الروحانى ، سر الأسرار ص ١١٨ بوء الساعة ١٣ .

الجانب التجريبى

(أ) التجربة :

٢ ـ قيمة التجربة :

ويرى الرازى ، أنه لاغـــنى للحياة عن التجربة ، فهى واجبة ، لأنها إصلاح للإنسان ، وهى اجتهاد ونظر ، وهو أول طريق الحق .

وإن قوام التجربة ، الإخلاص والعقل . وهى فى الطب أصعب ، ولكنها أوجب ، لتعلق هذا بحياة الإنسان ، التى يجب احترامها . لكن لايصح التجربة فى المريض نفسه ، وإلا كان الهلاك محققاً .

وإن النتائج العلمية القائمة على أساس تجارب القرون ، لهى خير من تلك التى تقوم على تجربة الفرد الواحد ، وعلى تلك التى تقوم على نتائج الاستدلالات المنطقية ، فإن للتواتر قيمته .

وإن خير ما تنتجه التجربة ، هو القوانين ، التى تمكن الإنسان من السيطرة على عناصر الكون ، وتعينه على الابتكار والتجديد ، فتتجدد الحياة ، ويتحقق جزء من سعادة الإنسان(١) .

٣ ـ الكيمياء :

إن الكيمياء عند الرازى هى الطب حقيقة ، وهى شىء يمكن متى وقف الإنسان على أصولها ، وتجعل الفيلسوف يستغنى عما فى أيدى الناس .

---

(١) الرازى : الطب الروحانى . والمناظرات والحاوى ٢ : ٣٧٨ : ٤ . ٧٠ ؛ عاون : الطب العربى ٦٩ .

وقد أقام الرازى تجاربه ، واستخلص نوعا من الكيمياء خالياً من التصوف والرمزية ؛ وهى نقطة فرق بين كيمياثه وكيمياء جابر بن حيان ؛ الوثيقة الصلة بالعرفان الإسماعيلى ؛ والتى كانت من أسباب إثارة الإسماعيلية على الرازى(١) .

٣ — النحو :

إن النحو — كما يرى الرازى — يفرح به من لاعقل له ؛ لأنه وسيلة لاغاية . والتعمق فى مسائله وكثرة التفريع فيها ، يؤدى إلى الوقوف عند الشكل والانصراف عن المضمون . وهو إذا قيس بالعلوم التجريبية ، كان دونها كثيرا (٢).

٤ — الجراحة :

راعى الرازى حرمة الإنسان وتعاليم الإسلام ، فأجرى تجاربه وتشريحه على الحيوان لا الإنسان . لكنه كان رفيقا أيضا بالحيوان ؛ فوصف كثيرا من الدواء المتعلق بأمراضه . والرازى أول من ميز خصب الخنجرة ، وأوجب الفصد أحيانا فى بعض العلل الصعبة . وقد استفاد كثيرا من تجارب السابقين ، ولاسيما تشريح جالينوس (٣) .

٥ — البيمارستان :

كان للبيمارستان أثر كبير فى اكتساب الرازى التجربة حيث لاحظ تطور العلل على المرضى بنفسه ، مما جعـــل له كثيرا من الابتكار

---

(١) مفتاح السعادة ١ : ٣٢٨ ، عيون الأنباء ٤١٩ ؛ ألدوميلى : العلم عند العرب ٢٦٩ ، كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية ١ : ٢١٥ .

(٢) الرازى : الطب الروحانى .

(٣) الحاوى ١٢ : ١٧٨ وفارن — سيديو : تاريخ العرب العام ٤٤٥ .

فى هذا المجال ودونه فى الحاوى(١)

٦— العلة :

كان الرازى فيلسوفا كثير الدهشة والتساؤل ، وكان يعتقد أن لكل شيء علة وسببا .

وقد بحث فى آثار الفصول الأربعة فى الجسم ، وأوجب على الطبيب ، التنقيب عن كل علة ظاهرة أو خفية ، وأن يسأل مريضه ؛ فقد يكشف له سرا ما ، فإذا اجتمعت لدى الطبيب أكثر من علة ، قضى بالأشد قوة وتأثيرا .

وإن قلة الاضطراب لدليل على عظم العلة . ولا يصح اليأس من العلل المزمنة ؛ فقد يأتى اليوم الذى يكتشف فيه علاج لها .

وكان الرازى يبحث أحيانا عن أكثر من حل ، لعلة واحدة مثل الصداع . لكنه يرى أنه لاحاجة بالعوام إلى معرفة العلل ؛ فهذا من شأن المتخصص وحده .

على أنه ليس فى وسع أى أى طبيب إبراء جميع العلل ، وعليه أن يراعى أن العلة فى الكبير غيرها فى الصغير .

ولم يكن الرازى فى تجاربه مغرما بالبحث عن الأسباب البعيدة ، لما فى ذلك من التكلف وضياع الوقت . ولما فيه أيضا من جهود (٢) .

وقد كان من عادته ، أن يدون الأشياء التى لم يقف لها على علة حقيقية ، عسى أن تكشف الأيام عن هذه العلة ، ومن ذلك :

---

(١) الحاوى ١١ : ١٨٤ . عيون الأنباء ٤١٥ .

(٢) الحاوى ١٥ : ١٦٣ .

(ا) الجواهر :

فقد يشاهد الرازى ، أفاعيل لبعض الجواهر ، دون أن يدرك سببها . وهو فى هذه الحالة لايطرح تلك الجواهر ، ولايهمل النظر إلى تلك الأفاعيل ، بل يدونها ، حتى تثبت بالتجربة منه أو من غيره . ويدل هذا على تمتعه بسعة الأفق وبالمرونة العظيمة .

(ب) عجائب البلدان :

كان الرازى يهتم بجمع الأخبار التى تدور حول عجائب بعض البلدان. مثال ذلك حديثه عن سمكة الرعادة التى بمصر ، حيث تخدر اليد وهى حية ، أما الميت منها فقد يشفى من الصداع . وربما كان هذا الكلام أو بعضه غير سليم ، لكن الرازى كان يضع أمثال هذه الأمور تحت التجربة ، فربما صح شىء منها .

وهو أيضا كان يهتم بهذه الغرائب ، من أجل الوقوع على دواء يشفى به المريض ، وهذا أمر فى غاية العظمة والنبل والإنسانية .

(ج) الأحلام :

يؤمن الرازى — كغيره — بظاهرة الأحلام ، وبمدى تأثيرها فى صحة الإنسان ، لكنه لم يستطع تفسيرها تماما أو تحديد دلالتها على وجه مضبوط ؛ لأنها شىء يتعلق بالروح ، وهو فى هذا لايختلف عن علماء العصر الحديث اليوم .

(د) الرقية والطلسم :

ينقل الرازى خبر الرقية والطلسم عند السابقين ، دون تصديق أو تكذيب ، وهو لايستبعد أن يكون للرقية تأثير فى الإنسان .

ونلاحظ أن الرازى ، لم يقصر اليقين على المعمل وحده ، وهذا مادعا ببعض الباحثين إلى القول بأن الرازى يؤمن بتأثير النجوم والأجرام السماوية فى العالم الأرضى ؛ لأنهما من جنس واحد .

لكن الرازى ، كان فقط ، يسجل هذه الأشياء ؛ حيث كان عقلية متفتحة ، ولم يكن من شأنه التسرع إلى التصديق أو التكذيب (١).

٧ — الفراسة :

اهتم الرازى بالفراسة ، وألف لها رسالة مستقلة ، كما هى عادته فى التأليف لكل مسألة يهتم بها .

وهو يرى أن الفراسة استدلال بالمظاهر الحسية ، على الجوانب النفسية . وله هنا منهجان :

الأول : ذكر كل عضو من أعضاء جسم الإنسان ، وتنوع حالاته مع بيان الخلق المستنتج منه .

الثانى : ذكر الصفات ، ثم ذكر كل عضو فى الجسم يدل عليها (٢).

هذا ، وإن العلم الحديث ، لا ينكر صحة علم الفراسة الذى أثبته الرازى.

٨ — التفاؤل :

إن النزعة التجريبية لدى الرازى ، تشير إلى تفاؤله . وكان كبير الأمل فى شفاء الأمراض . وهو أيضا ، لم يعتزل المجتمع ، ولم يحل روابطه مع الدنيا . لكنه كان دائب الإصلاح لا السخط .

وكثيرا ما اعترف بأن الله تعالى ، أنعم على الإنسان بنعم كثيرة .

---

(١) الرازى : الشواص — ورقة ١٢٣ ، ١٣٥ .

(٢) الرازى : جل أحكام الفراسة ص ٢ ، ٩ ط حلب ١٩٢٩ .

وفى مقدمها العقل . وهو أيضا ، لم ينكر وجود الشر فى هذه الحياة . لأنه أول من يعرف الأسقام والعلل كطبيب . لكنه كان يرى أن الألم خير فى بعض الأحيان (١) .

٩ — الابتكار :

إن الابتكار ذكاء وعبقرية . وكان الرازى يتمتع بهذا الذكاء ، فكتبه تفيض به : وكانت له مقدرة كبيرة على الملاحظة ، وصبر ودقة فى إجراء التجارب ، بالإضافة إلى أنه كان يصهر معارف الإغريق وغيرهم من السابقين ، مع التجربة .

والرازى مؤمن تماما بتقدم المعرفة ، فمن الممكن أن يستدرك اللاحق على السابق ، وفى ذلك إثراء الحضارة ، وإسعاد للإنسان (٢) .

***

(ب)

طب الجسم :

١ — طبيعة الجسم :

درس الرازى الجسم فى عمومه ، لكنه ركز الحديث على جسم الإنسان ، حيث كان فيلسوفا ، وطبيبا إنسانيا ، وذا رأفة بالأعلاء .

وإن الجسم الإنسانى ، من جوهر متحلل سيال ، وهو حادث مركب من أربعة طبائع متضادة : الدم والبلغم والمرتان .

---

(١) الرازى : منافع الاغذية ٦ ؛ الطب الروحانى ، وقارن دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ٩١ .

(٢) الرازى : الحاوى ١ : ٨ — ٩ ، ٢ : ٢ ، ٥٩ ، ٥٦ : ٩٠ ، ١٤٤ : ٢٧ ، ٥٩ .

وله أيضا . أربع قوى : جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة . وأصناف أمراضه أربعة : فى الخلقة ، ومقدار الأعضاء ، وعددها ، ووضعها .

ومن رأى الرازى ، أنه ينتج عن الجسد المريض ، أخلاق رديئة ، وعلاج هذه الأمراض إنما هو علاج للأخلاق (١).

٢ — أثر النفس فى الجسم :

كان الرازى من أوائل الفلاسفة ، الذين عرفوا قيمة الآثار النفسية فى العلاج ،

وقد أوصى الأطباء ، برفع الروح المعنوية لدى الأعلاء ، وأن يوهموا مرضاهم الصحة ، ويرجوهم بها ، وإن لم يكونوا واثقين من ذلك ؛ فإن مزاج الجسد تابع لأحوال النفس .

وإن للنفس الشأن الأول فى الجسد ، وكل مايحدث فيها من خواطر ومشاعر ، يبدو فى معالم الجسم . وعلى الطبيب أن يكون طبيبا الروح مع الجسد (٢).

٣ — الوقاية خير من العلاج :

إن أسمى أنواع الطب ، هو ما كان للوقاية ، وقد كان الرازى دائب النصح للانسان ، منبها له إلى صحة هذا المنهج ، مثلما نصح بالوقاية من الحمى قبل تولدها .

وقد ذكر الرازى اهتمامه الكبير ، على وقاية دماغ الإنسان ، حفظه

---

(١) الرازى : الأسرار ٢ ، الطب الروحانى ، المدخل الصغير إلى علم الطب — ص ١٠٠ ب .

(٢) الرازى : الطب الروحانى ، وقارن عيون الانباء ٢٤٠ .